احتفالية لجون بيلجر: الفيلم التسجيلي السياسي والبحث عن الحقيقة:

رحلة اربعين عاما في توثيق فظائع السياسة الخارجية الامريكية من تيمور الشرقية وكمبوديا الى فلسطين وفنزويلا

ابراهيم درويش*

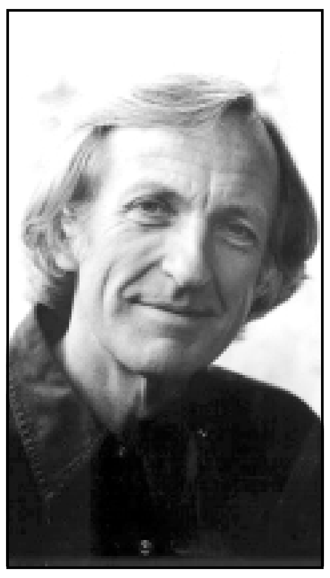

جون بيلجر

TOGETHER
SPEEDING UP CHANGE
AND FIGHTING POVERTY
A better life for all.
ANC

لقطة من فيلم «الحرية لاحقا»

■ جون بيلجر، الكاتب الصحافي، والمخرج والكاتب المسرحي يمثل صنفا من البشر على حافة الانقراض، البشر المثقفين والملتزمين بقول الحقيقة والبحث عن طرق لنشرها. وما يهم جون بيلجر مثل روبرت فيسك ونعوم تشومسكي هو قول الحقيقة والتأكد من معرفة الناس، الجماهير، بالاجندة السرية لحكومات بلادهم.

وعندما يكتب جون بيلجر ويعلق فهو يستند على تجربة اربعين عاما من «الحرب الخاصة» التي خاضها على الاعلام «الرسمي» الذي يمثله روبرت ميردوخ وهيئة الاذاعة البريطانية وشبكات التلفزة الامريكية، وافلام جون بيلجر التي شهدت الاسبوع الماضي تظاهرة فنية خاصة في مركز «باربيكان» في وسط لندن تلاحق عددا من القضايا، فالمخرج هنا يبحث دائما عن القصة الاخرى ويناقش مأساة الديمقراطية الغربية التي شرعت في السنوات الاخيرة في قتل وتعذيب السجناء في غوانتانامو وابو غريب، وهو معني بالضرورة بكشف الستار عن العلاقة بين ما يعرف بالديمقراطية الغربية والانظمة الشمولية وكيف ان عبارات مثل الحرية والتحرير ونشر الديمقراطية فقدت معناها بل صارت مثارا للسخرية من كثرة ما رددها كل من الرئيس الامريكي جورج بوش، ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير.

جون بيلجر معني بديمقراطية تختلف عن ديمقراطية حكومتي لندن وواشنطن، فهو يعرف ان هذه الديمقراطية لن تتحق الا عندما تتخلى الدول الغربية عن طموحاتها الاستعمارية واستغلالها للثروات الوطنية لغيرها. وقد امسكت كاميرا بيلجر بالكثير من مآسي العالم ومشاكله، وكان اخر افلامه «سرقة أمة» عن الطريقة التي تآمرت فيها امريكا وبريطانيا على مجتمع وادع في المحيط الهندي لسرقة وتنظيف جزيرتهم «دييغو غارسيا» وتهجيرهم الى موريشوس التي لم يعودوا اليها منذ عقود لان امريكا ارادت الجزيرة نظيفة من سكانها لبناء اكبر قاعدة عسكرية فيها ومطارات لهبوط واقلاع الطائرات الحربية والتي من خلالها تم ضرب كل من افغانستان والعراق. عايش بيلجر، الصحافي ومخرج الافلام التسجيلية، عددا من الاحداث العالمية بدأت من الخمسينيات من خلال تسجيله للمغامرة الامريكية في فيتنام، وتعاون امريكا في صناعة ظاهرة بول بوت في كمبوديا والذي قتل من ابناء وطنه مليون شخص، كما عايش الانتفاضتين الفلسطينيتين، وانتبه لاثر العمولة على سكان الدول الفقيرة في فيلمه المعروف «حكام العالم الجدد» كما ركز انتباهه لازمة الاعلام المعاصر وفن الفيلم التسجيلي السياسي وتأثره باعلام ميردوخ.

قبل 28 عاما اخرج جون بيلجر فيلمين عن فلسطين حملا عنوان «فلسطين لا زالت القضية» حيث اكد ان شيئا لم يتغير على حياة الفلسطينيين، وحرص بيلجر على استخدام نفس العنوان في الفيلمين لان الفلسطينيين كما اظهرت عدسته لا زالوا يعيشون في نفس الظروف الاحتلالية، وسجل بيلجر في فيلمه الاخير اثار الحملة الاسرائيلية على رام الله ومدن الضفة الغربية في نيسان (ابريل) 2000.

صناعة الفيلم السياسي ليست الا وجها من الوجوه لهذا المخرج الاسترالي المهاجر الى بريطانيا، فالشجاعة السياسية هي ما يميز افلامه، لان قول الحقيقة غالبا ما يؤلب الكثيرين على الذين يحاولون مساءلة الرواية الرسمية، فعندما يقول بيلجر في احدى المقابلات ان انتقاد العالم لافعال اسرائيل جاء متأخرا بعد ان شاهد الوجه الحقيقي لها في ضرب لبنان، ويربط هذا التجاهل مع ما اسماه «الضمير الشرير» لاوروبا، حيث يقول ان نقد اسرائيل كان يجب ان يحدث منذ زمن طويل. فما «عمل على اليهود في زمن مضى» هو سبب الصمت العالمي لما يحدث للفلسطينيين. وأكد بيلجر في نفس المقابلة على التفريق بين ارهاب جماعة صغيرة، تتزود يوميا وتزداد قوة من احتلال العراق ومن كل السياسات التي اجترحها بوش، اي القاعدة وبين ارهاب الدولة، وقال ان الارهاب الذي يضرب المدنين والذي تمارسه الدولة يجب ان يقلقنا.

يعرف بيلجر مثل غيره من المثقفين الباحثين عن الحرية والحقيقة ان العراق ولبنان وحتى افغانستان هي عناوين للاستغلال، وبالذات العراق الذي يحتوي على سدس احتياط العالم، ولكنه يقول ان الفلسطينيين والعرب يعرفون انه ما دام الجرح الفلسطيني دائما فلن يتحقق السلام في المنطقة. ويقول بيلجر ان الفلسطينيين الان يطالبون بخمس وعشرين بالمئة من فلسطين التاريخية ولو اعطيت لهم لحل السلام، لكن انبياء الاستعمار والعولمة لهم رأي اخر.

الحرب على الارهاب التي اعلنها بوش ليست جديدة، فمنذ عام 1946 تمت الاطاحة بخمسين نظاما سياسيا في كل انحاء العالم والطريقة التي اطيح بها تمت من خلال الارهاب. بيلجر يعتقد ان الحرب على الارهاب يجب النظر اليها من خلال منظور الطموحات الاستعمارية والسيطرة على الثروات، ويشير الى اخر الامثلة كيف قامت امريكا «الامبريالية» بالتعاون وبدعم اسرائيل من اجل ضرب لبنان لكي تقترب من هدفها وهو توجيه ضربة لايران، فالحرب على ايران ليس على النفط وحده ولكن للسيطرة على المصادر الاستراتيجية وابعاد بقية القوى العظمى عنها، فما يزعج امريكا هو صعود الصين والتي قد لا تتورع اي امريكا على ضربها.

اذا ظهرت في السينما ظاهرة الافلام البديلة فنحن الان امام ديمقراطية بديلة عن الديمقراطية الامريكية والغربية، وفي الفيلم الاخير لبيلجر «الحرب على الديمقراطية» يزور المخرج فنزويلا وعدداً من دول امريكا اللاتينية مثل بوليفيا والتشيلي لكي يكتشف كيف قامت هذه الدول ببناء ديمقراطيتها البديلة، او المستقلة عن الديمقراطية الغربية.

بيلجر، مثل تشومسكي، لا يكتفي بالتصريحات العامة للسياسة الامريكية بل يربط بين الاحداث ويقرأ بين السطور كما اشار الى ذلك احد الصحافيين التشيك الذين التقاهم في اثناء الحرب الباردة من ان الشعوب في تلك المنطقة لا تصدق ما تقرأ او تسمع ولكنها تعودت على القراءة بين السطور، وبمقاربة حرب بوش التي كشف انها قامت على الكذب يجد بيلجر ان هذه الحرب تشبه الحرب السرية وفرق الموت التي اقامتها امريكا في امريكا الوسطى، فقط استبدل التهديد السوفييتي بتهديد القاعدة، فلا فرق اذن بين حرب ريغان على الانظمة اليسارية في هذه المنطقة من العالم وحرب بوش الحالية على الارهاب. كولن باول، وزير الخارجية الامريكية كذب عام 2003 امام مجلس الامن وكذبته فتحت الطريق امام احتلال العراق، وقبله ريغان كذب وهاجم نيكاراغوا وغواتيمالا.. في العراق كذبة باول ادت لمقتل اكثر من 100 الف عراقي وفي امريكا الوسطى كذبة ريغان قتلت 300 الف. والجديد في العراق انه تم استيراد فرق الموت التي ترمي كل يوم في شوارع بغداد خمسين جثة او يزيد، فرق الموت صناعة امريكية في امريكا الوسطى.

مع مهرجان افلام جون بيلجر، معرض يستمر حتى نهاية الشهر الحالي عن صور الحرب او «تغطية الحرب» ويقدم المعرض بانوراما للاحداث التي غطاها بيلجر مع عدد من اهم مصوري الحرب، وفي المعرض تبدو الصور التي التقطوها في كمبوديا حيث وصل بيلجر مع مصورين وكان الخمير الحمر قد دمروا البنك الوطني في بنوم بنه، كما احتوى على عدد من الصفحات التي كبرت من اعداد من صحف ميرور، والغارديان، ونيوستيتسمان، بما فيها الصور التي التقطت والتقرير الخاص الذي كتبه بيلجر من بنوم بنه عام 1979 بعد ان هرب الخمير الحمر من العاصمة وتركوها للجيش الفيتنامي، وتحت التقرير الذي كتبه بيلجر صور لثلاث جماجم التقطها صديق المخرج اريك بايبر حيث تحدث المخرج عن العودة الى عهد العبودية. عندما وصل بيلجر الى بنوم بنه وشاهد كيف قام السكان الفقراء بجمع وتجفيف الاوراق النقدية التي نثرتها رياح الخماسين في مجاري العاصمة. ما يثير في هذا المعرض ان بيلجر، يقدم شهادة غير رسمية وعفوية عن الاشخاص الذين عمل معهم وصوروا مآسي العالم التي جاءت بسبب الامبريالية. كان بيلجر من اوائل المخرجين التسجيليين الذين فتحوا اعيننا على العلاقة بين الطموح الاستعماري واستغلال الفقراء، ففي واحد من افلامه عن تيمور الشرقية يظهر كيف قامت استراليا المعجبة بنفسها ورئيس وزرائها الذي يفتخر باللقب الامريكي له «شريف جنوب شرق آسيا» باستخدام التعابير الفجة والمكررة عن حقوق الانسان والديمقراطية، لاستغلال الغاز الطبيعي في هذه الدولة الصغيرة. واشار في واحد من مقالاته الى الدور الاسترالي في الاطاحة برئيس الوزراء في هذه الدويلة مرعي الكثيري الذي كان مع تحرير الاقتصاد الوطني. علي العطاس، وزير الخارجية الاندونيسي، ومندوبها السابق للامم المتحدة سجل اخطاء السياسة الاندونيسية في تيمور الشرقية في كتاب لافت صدر حديثا تحت عنوان «حصوة في الحذاء» حيث اشار الى ان اندونيسيا ظلت آمنة من الشجب العالمي حتى نجح مصور بريطاني بتصوير عملية قمع تظاهرة في مدينة دلي العاصمة، وعندها لم يعد بامكان اندونيسيا الدفاع عن وجودها في تيمور الشرقية.. بالعودة الى معرض الصور الذي يقدم بعض الملامح الشخصية للمصورين وانطباعاتهم الشخصية.

بمناسبة مهرجان افلامه، كتب بيلجر مقالا في صحيفة «الغارديان» الجمعة الماضية تحدث فيه عن الاحياء الذي يعيشه الفيلم التسجيلي السياسي، في السينما وليس التلفاز. وقال انه مثل بقية مخرجي هذا النوع من الافلام فان اعماله عرضت في كل انحاء العالم باستثناء الولايات المتحدة، واشارالى محاولته عرض بعض افلامه، خاصة فيلم «عام الصفر» عن كمبوديا، والذي قدمه لشبكة انباء «بي بي اس» التي قررت عرض الفيلم على مراسل سابق في كمبوديا، وبعد ذلك قررت عدم عرضه لانه كما قال مسؤول المؤسسة كان سيورطها مع ريغان، خاصة ان الفيلم يتعرض للدور الذي لعبته ادارة ريغان في تربية ودعم بول بوت. ويقدم هذا الحادث كمثال عن الطريقة التي يقوم بها صناع الافلام التسجيلية المستقلة بالالتفاف على من اسماهم «حراس الحقيقة الرسمية». ويعتقد بيلجر انه على الرغم من ان الفيلم التسجيلي يعود لمحاولات الامريكي روبرت فلاهرتي «نانوك» (1922)، وافلام البريطاني جون غييرسون، الا ان الكثير من الافلام الجريئة عملت في الفترة الاخيرة، بحيث تعتبر شهادة على قوة وقدرة الفيلم التسجيلي السياسي. واشار الى فيلم جون ويلدينغ ويومياتها عن العراق حيث غطت عملية ضرب مدينة الفلوجة. ومع ايمانه بقوة الفيلم السياسي الا انه يرى ان هذا النوع من الافلام يواجه الان، وفي ظل حكومة بلير معضلة مواجهة محرر برامج «شؤون الساعة» ورقابتهم ولهذا فان الكثير منها لا يجد طريقه للعرض في محطات التلفزة البريطانية. ويرى ان السينما ودور السينما تمثل الان الامل الباقي للفيلم السياسي التسجيلي الطابع. ولكن العرض في السينما يضع على المخرج شرط المزاوجة بين النجاح التجاري وان تكون شعبية كما في افلام مايكل مور الامريكي. ويدعو بيلجر الى تسويق افلام قادرة على كسب الجمهور، و «مواطنون» ينتجون افلاما كما تفعل جوي ويلدينغ وجوليا غيست، حيث تنظران في المرأة لمجتمعاتنا «المتحضرة» وتصوران انهار الدم الطويلة فيها. ويقول ان الفيلم التسجيلي يعود بالجائزة اخيرا عندما ينجح في الامساك بتلابيب المشاهد كما فعل بيتر ديفيس في فيلمه التسجيلي الذي حاز على الاوسكار عام 1974 والذي قدم لقطتين كلاسيكيتين، الاولى لولد يبكي والده الذي قتله الامريكيون وتعليق جنرال امريكي قائلا «ثمن حياة الشرقي لا تساوي ثمن حياة الغربي» اما الثانية فصورة فتاة عارية تخرج من حقل الغام النابالم، جسدها محروق، تتبعها امرأة تحمل ابنها الذي انفصل جلده عن جسده، فيلم «قلوب وعقول» هو فيلم عن بربرية الحرب وقدرة الفيلم التسجيلي على تسجيل وتوثيق فظائعها. ويقول بيلجر ان هناك جوعاً للفيلم الوثائقي لانه وحده قادر على تقديم الحقيقة، بدون خوف او مواربة. ويشير هنا الى الفيلم الذي قام بعمله الان فرانفويتش «الصليب المزدوج المالطي ـ لوكربي» الذي قدم ادلة غير تلك الادلة عن تورط جهة اخرى غير ليبيا في تفجير الطائرة الا ان الفيلم لم يعرض في امريكا، وهددت الحكومة البريطانية باتخاذ اجراءات قضائية لمنع عرضه في مهرجان لندن السينمائي الا ان النائب تيم دالايل قام بتحدي الحكومة وعرضه عام 1995 في مجلس العموم.

افلام بيلجر، سجلت تاريخ اربعين عاما او يزيد من القتل والتدمير، والطموحات الاستعمارية الجديدة، وقدمت الام المعذبين في الارض الذين باتوا يكافحون ضد انبياء الحرب وانبياء العولمة، هي شهادة عن القرن الماضي الكئيب وصورة عن الحاضر الحالي المليء بالقتل والتدمير في لبنان وافغانستان والعراق.

ولد جون بيلجر في استراليا عام 1939، وبدأ العمل في الصحافة عام 1958 ويعرف بيلجر في حقل افلام التحقيق الصحافية، والتي قام بكتابتها وانتاجها، خاصة عن كمبوديا وتيمور الشرقية، وعمل كمراسل حرب في فيتنام وكمبوديا ومصر والهند وبنغلاديش واثناء حرب البيافرا في نيجيريا، والتيمة الرئيسية في اعماله كانت دائما هي انتقاد السياسة الخارجية للدول الغربية خاصة امريكا. وكان بيلجر واحداً من المثقفين الذين رحلوا عن استراليا في نهاية الخمسينات من القرن الماضي مثل الاعلامي والروائي كلايف جيمس والناشطة، الناقدة النسوية جيرمين غريير، و باري همفريز. وكان بيلجر قد دخل معجم اوكسفورد للغة الانكليزية عندما انتقده اوبرون واو الذي نحت فعل من اسمه ليعني اعطاء معلومات مثيرة من اجل الوصول الى نتائج معروفة وقديمة، وقد تدخل بيلجر وطلب من المعجم حذف الوصف عام 1991. ويرى نعوم تشومسكي ان السبب الذي جعل بيلجر محط انتقاد هو انه كان يواجه الجمهور بالحقيقة المرة.

وعمل بيلجر في اكثر من مكان ومع اكثر من صحيفة وتلفزيون حيث غطى لصالح ديلي تلغراف، والميرور، وعمل ككاتب حر في ايطاليا، كما عمل في وكالة رويترز في الشرق الاوسط في الستينات من القرن الماضي، كما انشأ وعمل محررا ورئيسا لـ نيوز اون صاندي ، وعمل في برنامج «وورلد اون اكشن» لصالح محطة غرنادا، وعمل منتجا ومخرجا لصالح شركة كارلتون.

من اهم اعمال بيلجر «عام الصفر: الموت الصامت لكمبوديا» عام 1979، و «عام الصفر: الموت الصامت لكمبوديا» (1979)، «اليابان خلف القناع» (1987)، «موت امة: مؤامرة تيمور الشرقية» (1994)، «فيتنام المعركة الاخيرة» (1995)، «في داخل بورما: ارض الخوف» (1996)، «الابارتيد الذي لم يمت» (1998)، «اهلا بك في استراليا» (1999)، «يدفعون الثمن: قتل اطفال العراق» (2000)، «فلسطين لا زالت القضية» (2002)، «كسر الصمت: الحقيقة والاكاذيب عن الحرب على الارهاب» (2003)، «سرقة امة» (2004). كما اصدر عددا من الكتب منها، «الايام الاخيرة»(1975)، «ما بعد الكفاح الكمبودي الفيتنامي» (1981)، «ابطال» (1986)، «البلد السري» (1989)، «اصوات بعيدة» (1992،1994)، «الاجندة السرية» (1998)، «حكام العالم الجدد» (2002)، «لا تقل لي اكاذيب: التحقيق الصحافي وانتصاره»(2004)، واخر كتبه «حرية في المرة القادمة» (2006). وكتب مسرحية «اليوم الاخير» (1983)، وحصل على عدد من الجوائز «مراسل العام» (1967)، «صحافي العام» (1967)، «المراسل الدولي لعام 1970»، «جائزة الامم المتحدة للاعلام» عام 1980، وجائزة ايمي الامريكية عام1991، وجائزة معهد الفيلم البريطاني المكرسة لريتشارد ديمبلبي عام1991، وجائزة الجمعية للتلفزيون لعام 2005/2004.

---

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

CENSORED BY KQED
Palestine
IS STILL THE ISSUE
John Pilger returns to the Middle East and questions why there has been no progress towards peace

لقطة من الفيلم الوثائقي «فلسطين ما تزال هي القضية»

عدد جديد من شهرية «الهلال» مكرس للبنان:

احتفاء لائق بالجغرافيا والتاريخ وما بينهما واستبعاد كامل للملف السياسي

القاهرة ـ «القدس العربي»:

صدر العدد الجديد من شهرية «الهلال» مكرسا لـ «لبنان» وقد حمل غلافه العلم اللبناني، ولم يحمل سوى عنوان واحد هو «لبنان وطن ورسالة».

نأى العدد ـ كلية ـ عن النقاش السياسي للمأزق الذي خلفته الحرب الاسرائيلية على لبنان، ويبدو أن تحوطات رئيس التحرير مجدي الدقاق، ورغبته في عدم الوقوف خلف موقف يناهض الموقف الرسمي، وراء انصراف العدد عن أي نقاش سياسي للأزمة اللبنانية، واكتفى بتقديم لبنان كأيقونة تاريخية.

افتتح رئيس التحرير العدد بكلمة مطولة تحت عنوان «شعب يصنع الحياة» ويشير الدقاق في مقدمته الى قدرة اللبناني على التأقلم لذلك يراه انسانا قادرا على صنع الحياة في أحلك الظروف ويقول «لبنان وطن صغير في حجمه لكنه كبير بشعبه وحضارته وبعطائه الانساني والحضاري وسرقوه. لبنان في ضعفه فهو ليس مجرد بلد على خريطة العالم، بل هو نموذج ورسالة هذا النموذج الذي أعطى معنى مختلفا للتعايش المشترك والتعددية والرسالة في كيفية أن تعيش الحياة وتصنعها».

كما يشير رئيس التحرير الى أن لبنان تحول الى ساحة عربية لتصفية الصراعات وسوق لجميع الأيديولوجيات والميليشيات وحسب تعبير الدقاق أصبح لبنان ساحة حرب بالوكالة واستقوى بعض أبنائه بعواصم ومرجعيات وأوهام خارجية.

ويرى الدقاق ان فواتير لبنان عقب هزيمة حزيران (يونيو) كانت أكثر الفواتير العربية ارتفاعا، بعد ان دفع ثمن تصدير الأزمات العربية اليه في الستينيات والسبعينيات بقوات تدخل عربية وحركات تحرر أضاعت ما تبقى من سيادة الدولة.

وينهي الدقاق مقدمته باعادة ترديد الخطاب العربي واللبناني الرسميين الذي يتضمن ان استعادة روح لبنان وتنوعه وتعايشه، وبناء قوة الدولة وبسط سيادتها على ترابها الوطني هو المفتاح الحقيقي لاستعادة الوطن اللبناني الذي نحبه.

حفل العدد بعد ذلك بعدد وفير من المقالات جاء أولها للدكتور الطاهر احمد مكي تحت عنوان «لبنان اللفظ والدلالة» ويحيل فيه الى المرجعية التاريخية للاسم بداية من الرواية الشعبية التي تقول ان لبنان جزء من أرض الميعاد منذ أعاد الله ابراهيم من وطنه الى هذه الأرض ليجعله أبا لشعب عظيم في أرض جديدة، ويعيد الطاهر مكي اسم لبنان الى العهد الروماني عندما كانت السلاسل الجبلية في هذه المنطقة تسمى «أنتي لبانوس» «أي لبنان».

كذلك كتب أستاذ الآثار محمد ابراهيم بكر تحت عنوان «شاهد على التاريخ» وهو ايضا يستعرض التكوينات اللبنانية تاريخيا من خلال العديد من الشواهد الأثرية، أما الدكتور أبو اليسر فرح استاذ التاريخ القديم فكتب تحت عنوان «عطاء متواصل لحضارة الانسانية، فينيقيا القديمة» وكتب الدكتور عصام الدسوقي تحت عنوان «من الجبل الى الدولة» وكتب الدكتور سيد عشماوي تحت عنوان «رسل التنوير» وعن أعلامه من اللبنانيين، وكتب محمد الشرنوبي عن التنوع الجغرافي الفريد للبنان، وأحمد البكري عن الأرز باعتباره سر لبنان المقدس، ومراد وهبة عن علمانية لبنان، ومجدي حماد كتب عن اتفاق الطائف، وكتب يوسف القعيد «اعتراف شخص»، وأسامة عرابي «ملحنا العربي»، وعدلي رزق الله عن الفن التشكيلي في بيروت، وصبري حافظ عن الرواية اللبنانية، وأدب المهجر، كما تناول وديع فلسطين «ألبير أديب ومجلد الأديب»، كذلك نشر العدد عددا من القصائد حول لبنان منها قصيدة حلمي سالم «حمامة على الجنوب»، وخيري منصور «دم، يتوضأ منه الماء» وصلاة قانا لمحمد آدم، اما الكلمة الأخيرة فكانت للناقد رجاء النقاش تحت عنوان «حديقة الحرية».

يقع العدد الجديد من شهرية «الهلال» في 226 صفحة من القطع الصغير.

تميز اوروبي في مهرجان طنجة الذي لم يشهد حضورا عربيا لافتا

طنجة ـ من هدى ابراهيم:

لم يكن للفيلم العربي حضور لافت في مهرجان الفيلم المتوسطي القصير الرابع بطنجة الذي اختتمت فعالياته مساء السبت الماضي والذي تميزت فيه افلام اوروبية استحقت بجدارة اعجاب الجمهور الذي كان خير حكم على مستوى ومضمون الافلام الاربعين التي عرضت ضمن المسابقة الرسمية.

وتمنح لجنة التحكيم في حفل الختام الذي تشهده قاعة سينما روكسي بطنجة الجوائز الاربعة للمهرجان وهي جائزة المهرجان الكبرى وجائزة لجنة التحكيم الخاصة اضافة الى جائزتين لافضل تمثيل نسائي ورجالي.

ويرأس المخرج المغربي مومن السميحي لجنة التحكيم التي تضم المخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي الى جانب ثلاثة اعضاء آخرين من اوروبا.

وجاء الفيلم الاسباني «انسجام» للمخرج موريارتي بروديكزواك (9 دقائق) في طليعة الافلام التي نالت اعجاب الجمهور الذي تعاطف مع القصة الناعمة الجميلة التي رواها الشريط الذي التقط اللحظات الاولى لولادة قصة حب او علاقة بين شخصين.

جاءت لغة الفيلم بسيطة لكنها تنم عن حرفية كبيرة في مجال الفن السابع الذي يتطلب العناية بالتفاصيل الصغيرة.

الفيلم التركي «ريح الشمال» للمخرجة بيلما باس تميز كذلك بلغة سينمائية اكيدة تنطق من خلال عيني طفل يعاني من رتابة الحياة في بيت عتيق وسط الجبال حيث ينصرف الكبار الى اشغالهم فيحاول ايجاد اشغال يقطع بها الوقت.

مالطا التي تشارك للمرة الاولى في مهرجان طنجة لم تمر مشاركتها مرور الكرام فشريط «الجناح 66» الذي اخرجته انجيليك مولر وكاتلين تانتي تميز بلغة فنية ناعمة وجرأة في الطرح.

الشريط يتعامل مع عالم اليوم من خلال شخصية فتاة مختلة عقليا تتساءل هل هي فعلا كذلك ام ان العالم من حولها هو المختل.

خصوصية الرؤية والمعالجة تبدت ايضا في فيلم المخرج الكرواتي زدرافكو موستاك «خدم» الذي انعكست جمالياته الخاصة في الاطارات والديكور الطبيعي الذي تم اختياره بعناية ليكون مأوى لشخصيات لا تتكلم تعيش اقرب الى الحالة البدائية في تعاطيها مع الآخر.

الشريط الفرنسي «خطوات جان» للمخرج نجار جوادي حاز الاعجاب ايضا لحسه الانساني الذي لا يخلو من دعابة حيث تنضم سيدة مشردة في الستينات الى اخوين يعيشان في كارفان ليبدأ الثلاثة حياة جديدة يتبعون فيها ضوء الشمس ودفئها.

الفيلم الايطالي «واجب في الفصل» اختار مخرجه دانييل كاسيلا معالجة قضية حساسة تتعلق بسوء معاملة الاطفال من قبل الاهل حيث تكتشف معلمة من خلال واجب مدرسي لاحدى تلميذاتها سرا عائليا يعكس مأساة الطفلة التي تتماهى مع المعلمة.

ومن البرتغال تميز فيلم «الغذاء» بخصوصية كبيرة تمثلت برغبة المخرج جدعون نيل في تصوير التفكك والعنف الاسريين حيث يتحول الغذاء الى ساحة معركة في فيلم ساخر للغاية مصور عبر كاميرا ثابتة وفي لقطة واحدة.

الافلام العربية جاءت من مصر ولبنان والمغرب وتونس والجزائر وسوريا وبرزت من بينها الافلام المصرية الثلاثة المشاركة والتي حافظت على مستوى قادر على المنافسة وكذلك فيلم اللبناني فؤاد عليوان. وعرض المهرجان اضافة الى المسابقة الرسمية تظاهرة «بانوراما السينما المغربية» التي عرض في اطارها 70 فيلما قصيرا لم تف بالغرض وظلت اقرب الى الاسكتشات التي غلب عليها طابع الانتقاد الاجتماعي وخاصة لمجتمع الاستهلاك المتمثل بالهاتف المحمول والقروض المصرفية وغيرها.

قلة شذت عن هذا الكم القائم على التجريب والمحاولة الذي لم يصل بعد الى مستوى الاحتراف الفعلي ومن هؤلاء رشيد الوالي الذي كان يستحق المشاركة في المسابقة الرسمية خاصة في فيلمه «المرحوم» و"الذبابة وانا".

ياتي هذا المهرجان السينمائي للفيلم القصير بطنجة ضمن جهود اخرى يبذلها المركز السينمائي المغربي دعما وتشجيعا للحركة السينمائية في المغرب الذي يشهد حراكا على هذا الصعيد منذ خمس سنوات. وقد صور هذا العام 65 فيلما قصيرا في المغرب ولا زال هناك الكثير قيد الانجاز. (اف ب)

قص

رجل في الميدان

صابر رشدي*

■ الميدان يئن تحت وطأة ظهيرة قائظة ورطوبة لا تحتمل فشمس آب (اغسطس) تتعامد فوق المباني والسيارات واسفلت الطرقات، تلهب رؤوس البشر وكافة الاشياء. مع ذلك كان هناك بشر كثيرون وحركة دائبة تدور في هذا الجحيم، وثمة رجل يسير بطيئا في هذا الزحام، جذبني اليه بقوة هذا المعطف الصوفي الثقيل الذي يرتديه في هذا التوقيت من العام. كان يمشي وحيدا ومتكفئا في لا مبالاة واضحة منسلخا عن كل ما يحيط به في هذا العالم.

«كيف يحتمل».

تساءلت. واندفعت وراء فضول صبياني طارئ لرؤية وجهه بوضوح، لم ابذل جهدا كبيرا للحاق به، ثم تجاوزه بعدة خطوات قليلة تتيح لي التطلع اليه عن قرب وهو يتقدم الى الامام. للوهلة الاولى بدا لي مستغرقا في تفكير عميق وهو ينظر الى الارض. لا يرفع عينيه عنها بينما شفتاه تهمسان بكلمات غير مسموعة ووقع خطواته المتهالكة يبعث الاسى في النفوس. لم اكن ادري اسباب انبعاث تلك الرغبة الغامضة للاهتمام بالرجل على هذا النحو المفاجئ. وقبل ان تراودني فكرة التراجع عثرت على الدافع الخفي الذي جعلني مشدودا اليه بهذا الحماس. وذلك عندما رفع هامته للحظات قليلة ثم عاود الاطراق مرة اخرى. وجدتني اعرفه تماما. هذا ما تأكد لي رغم انقضاء سنوات عديدة لم اره خلالها. نشطت ذاكرتي، وطغت على سطحها تلك الايام التي مرت سريعا مثل الاحلام الجميلة. فوقفت حائرا انظر اليه وهو يجر قدميه ويمر امامي في خطوات رتيبة ومجهدة لم تستطع طمس بقايا زهو وكبرياء يجللان المنتمين في كل مكان. لمحتهما يطلان بوضوح من تحت ركام تلك الهيئة البائسة. فيما كنت واقعا تحت تأثير مباغت من مشاعر الدهشة وعدم التصديق. بعد تفكير قليل قررت ان استوقفه. اقتربت منه. وبرفق شديد نقرت فوق كتفه باطراف اصابعي، فتوقف عن السير. ثم استدار بصعوبة بالغة. بادرته باسمه مفتعلا ابتسامة مشجعة.

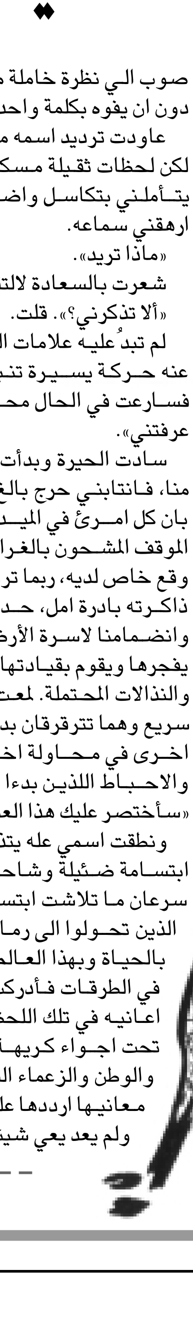

صوب الي نظرة خاملة من عينين مطفأتين ذهب بريقهما دون ان يفوه بكلمة واحدة.

عاودت ترديد اسمه مرة اخرى مخافة ان يهيمن الفتور، لكن لحظات ثقيلة مسكونة بالصمت والفراغ مرت وهو يتأملني بتكاسل واضح، نطق بعدها بصوت خافت ارهقني سماعه.

«ماذا تريد».

شعرت بالسعادة لالتقاطي اول الخيط.

«ألا تذكرني؟». قلت.

لم تبدُ عليه علامات التفكير او سيماء التذكر، وبدرت عنه حركة يسيرة تنبئ عن عزمه المضي في طريقه، فسارعت في الحال محاولا استبقاءه. «انظر جيدا، ربما عرفتني».

سادت الحيرة وبدأت مشاعر الارتباك تسيطر على كل منا، فانتابني حرج بالغ، وتصاعد لدي هاجس مفاجئ بان كل امرئ في الميدان ينظر الينا. للتخلص من هذا الموقف المشحون بالغرابة شرعت احادثه عن اشياء لها وقع خاص لديه، ربما تركت أثرا ما في نفسه وحركت في ذاكرته بادرة امل، حدثته عن زمالتنا في الجامعة وانضمامنا لاسرة الأرض، وعن تلك المظاهرات التي كان يفجرها ويقوم بقيادتها اذا لاحت في الافق بوادر الخيانة والنذالات المحتملة. لمعت عيناه فجأة واشرقتا بوميض سريع وهما تترقرقان بدموع خفيفة، ثم عاود الصمت مرة اخرى في محاولة اخيرة لتدبير ارهاصات اليأس والاحباط اللذين بدءا يجثمان فوق صدري. قلت له «سأختصر عليك هذا العناء».

ونطقت اسمي عله يتذكر، فارتسمت على وجهه اطياف ابتسامة ضئيلة وشاحبة. هتف بعدها مرددا الاسم، ثم سرعان ما تلاشت ابتسامة مروعة لا تصدر الا عن هؤلاء الذين تحولوا الى رماد وفقدوا اي ارتباط حقيقي بالحياة وبهذا العالم، وراحوا يهيمون على وجوههم في الطرقات فأدركت حزينا اي موقف عبثي فادح اعانيه في تلك اللحظات، حيث اقف في ميدان يرزح تحت اجواء كريهة وخانقة واتحدث عن التاريخ والوطن والزعماء الشرفاء، وعن اشياء اخرى فقدت معانيها اردها على مسامع رجل احترقت ذاكرته ولم يعد يعي شيئا مما يقال.

---

* قاص من مصر